خصائص التركيب في كتاب سيبويه من خلال إطلاقه(الكلام)

دراسة لسانية

ا.م.د.صباح يحيى إبراهيم باعامر

قسم اللغة العربية و آدابها /كلية الآداب و العلوم الإنسانية /جامعة الملك عبد العزيز– المملكة العربية السعودية

sbaamer@kau.edu.su

ملخص

هذه محاولة لاستخلاص خصائص التركيب في كتاب سيبويه ،أعمد فيها إلى تتبع إطلاق (الكلام) الذي يشترك لفظيًا مع مصطلح لساني هو (الكلام)اقيم اللغة في فكر دوسوسير و عمدت إلى استنتاج خصائص التركيب (الجملة) في نظر سيبويه من خلال اقترانه بهذا الإطلاق و التي نخرج من خلالها بتصور لخصائص التركيب في الكتاب.مهدت فيه لمفهوم التركيب فالكلام في اللسانيات الحديثة، ثم الاشارة الخاطفة إليهما في البحث اللغوي العربي. لأنطلق للحديث عن خصائص التركيب في الكتاب كما تبرز من خلال اقترانها بإطلاق الكلام و استخدام سيبويه لهذا الإطلاق فيما يتصل بخصائص التركيب.وانتهي باختصار النتائج التي تبرز ما يميز التركيب في إطلاق سيبويه و إلى محاولة وضع تعريف للتركيب ينطلق من ممارسته في الكتاب.

Abstract

This paper examines the characteristics of sentence in saibawaih's book. Through tracing the general concept of AL-Kalam, this paper determines the characteristics of sentence from Saibawaih's point of view. The paper also defines the term AL-Kalam in the light of Saibawaih's practice as elaborated in his book (Alkitab)

مقدمة:

في ظل غياب نص صريح يوضح الأطر النظرية للدرس اللغوي العربي تبقى مصادر دراسة تلك الأطر–و على رأسها كتاب سيبويه– ملاذاً للباحث للاستنباط و النظر .و إذا أضفنا إلى ذلك عدم الاستقرار الكامل للمصطلح النحوي في الكتاب، برزت أهمية استنطاق ذلك المصطلح (أو الإطلاق) لتحديد الأطر النظرية للدرس اللغوي بعيدًا عن ليّ النص و التقرير المسبق لمدلولاته، و انطلاقاً من واقع الممارسة في "الكتاب" لا الاستناد إلى ما يردده الباحثون في عصور مختلفة حول تلك الأطر[1]. و في الوقت نفسه و بمنأى عن إخضاع البحث اللغوي العربي لمفاهيم الدرس اللغوي الحديث بصورة قسرية ،يظل البحث في المصطلح جزءًا مهماً لدراسة النظريات العربية في مستويات اللغة على اختلافها.فما زال هناك متسعا لإعادة تصنيف المادة العلمية وعرضها على المبادئ الحديثة في اللسانيات .
وهذاالعملحلقةفيسلسلةتلكالجهودالتييثمراستمرارهاوتنوعهاعنتصنيففوفهملتلكالآراءالنحوية.

و قد لفت مصطلح "الكلام" في كتاب سيبويه نظري لاختلاف إطلاقاته ، إضافة إلى أنه يشترك لفظياً مع مصطلح الكلام في الدرس اللساني الحديث، و يختلف عنه في أنه يطلق في مجالات مختلفة من مجالات الدراسة اللغوية و التركيبية في الكتاب[2]،كما أن مصطلح الكلام يتردد في كتب النحاة بعد سيبويه في مجال البحث في التركيب أو الجملة. من هنا اخترت تتبع هذا المصطلح في "الكتاب"، و خصصت هذه الدراسة لمحاولة استنباط خصائص التركيب (الجملة) فيه من خلال هذا التتبع ؛إيمانا بأن الإطلاق أو المصطلح يختزن مفاهيم نظرية كبيرة في حروفه المحدودة ،أو كما يقول الدكتور كمال بو درع:"إن الحدود و المصطلحات النحوية —على سبيل المثال– تكوّن في نهاية المطاف لغة نظرية في النحو،و تتضمن تسمية الأشياء و الظواهر و القضايا بأسماء نحوية مخصوصة،إنها بداية تأسيس اللغة النحوية.و يقتضي التأسيس تصور شكل العلم و وضع حدود للمعلوم."[3]
مهدت للبحث بالتناول المقتضب لمفهوم التركيب في اللسانيات الحديثة بوصفه مرادفاً لمصطلح الجملة الذي ظهر في النحو العربي بعد سيبويه،و أردفت ذلك بتناول مماثل لمفهوم الكلام في اللسانيات الحديثة بوصفهما (التركيب و الكلام) معيارين حددا أطر الدراسة.ثم أشرت إلى مفهوم التركيب في الدراسات النحوية العربية باختصار شديد، فناقشت إطلاق سيبويه للكلام هل كان مصطلحاً قارا أم أنه كان مجرد إطلاق لم يتبلور كمصطلح لا اشتراك فيه مع غيره من المصطلحات؟ ثم تناولت خصائص التركيب كما تبدو من خلال إطلاق سيبويه "الكلام"،وختمت الدراسة بالنتائج ،فالمصادر و المراجع، منتهجةمنهجاًوصفياًاستقرائياًقائماًعلتحليلالنصالمتضمنإطلاقاًواحداًيمتزجبأبوابعدة.

---

[1]"المنوال النحوي العربي:قراءة لسانية جديدة" ،د.عز الدين مجذوب،كلية الآداب، سوسة ،دار الحامي، تونس، الطبعة الأولى 1998،ص142

[2] ويتكرر ذلك في استخدام سيبويه لعدد من المصطلحات،ينظر على سبيل المثال

Sibawayhi,M.G.Carter ,Oxford Centre for :Islamic Studies.2004
P:49,51,49

[3]"الأساس المعرفي للغويات العربية :بحث في بعض المقدمات الكلامية و الأصولية للنحو العربي، في اتجاه وضع أساس إبستمولوجي للغويات العربية"، د. عبد الرحمن بو درع ،منشورات نادي الكتاب لكلية الآداب، تطوان ،المغرب، ،**200 0**، ص90

مفهوم التركيب في اللسانيات الحديثة:

التركيب في المفهوم اللساني الحديث ينطلق من كون اللغة نظامًا يقوم على بنية تمثلها وحدات التركيب التي تؤدي كل منها وظيفة فيه، و ترتبط تلك الوحدات بعلاقات نظمية،كما ترتبط بوحدات خارج التركيب في علاقات استدعائية رأسية. لكن تحليل التركيب لا ينظر إلى ما هو خارجه بل يضع اللساني في اعتباره أن التركيب عالم مغلق على نفسه.

كما يُحدد التركيب مصطلحاً يشار به إلى المستوى التركيبي الذي" يتضمن العلاقات القائمة بين مورفامات داخل الجمل بغية لحظها و تحديدها."[1] و المستوى التركيبي لا يقدم دائماً الخط التقليدي المرادف لمفهوم الجملة، و الذي يتطلب مسنداً و مسنداً إليه ،فقد يرد تركيب لا يستوفي تلكما المكونين. و يعرف أندريه مارتينيه مفهوم الجملة بأنها :"القول الذي ترتبط فيه جميع العناصر بمخبر فريد أو بعدة مخبرات معطوفة."[2]

مفهوم "الكلام" في اللسانيات الحديثة:

منذ وضع فرديناند دي سوسير رؤيته لما ينبغي أن تكون عليه دراسة علم اللغة برز مصطلح (الكلام) LA Parole قسيمًا لمصطلح (اللغة) LA Langue؛إذ يشير الكلام إلى إنجاز مستخدم اللغة ،ويتميز بالقصد و الإرادة، فيما تعد اللغة نظامًا يوجد قسراً في ذهن المتكلم. و فيما تتميز اللغة بكونها إرثا مشتركًا بين جميع أبناء اللغة يبقى الكلام عملاً فرديًا لا يشترك فيه كل أفراد المجتمع،و يخضع لما يخضع له الفردمن عوامل مختلفة تؤثر فيه.[3]

و بانتهاء دو سوسير إلى جعل موضوع علم اللغة هو دراسة اللغة في ذاتها و من أجل ذاتها حصر الدراسة اللغوية في وصف اللغة كتنظيم قائم بذاته، فيكون محور الدراسة اللسانية دراسة بنية اللغة و وصف و تصنيف عناصرها و علاقاتها من خلال نماذج الأداء الفردي لأبناء الجماعة اللغوية.[4]و بهذا وجه البحث اللساني لاعتبار اللغة كياناً مستقلاً، الكلام أحد مظاهره.

مفهوم التركيب في الدراسات النحوية العربية:

---

[1] الألسنية(علم اللغة الحديث):مبادؤها و أعلامها"،د.ميشال زكريا،بيروت،1980م،ص212

[2] مبادئ في اللسانيات العامة"،أندريه مارتيني،ترجمة: سعيد زبيري،دارالآفاق،الجزائر،ص118،مبادئ اللسانيات البنوية:دراسة تحليلية ابستمولوجية"،د.الطيبدبة،جمعية الأدب للأساتذة الباحثين،،2001،ص188،فرديناند دو سوسير:تأصيل علم اللغة الحديث و علم العلامات"،جوناثانكيللر،ترجمة:نرمين محمود،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة،2000،ص53، 58

[3] "علم اللغة العام"،فردينادند دو سوسير،ترجمة :يوئيل عزيز،مراجعة:مالك المطلبي،بيت الموصل،1988،مثلاً:ص 33،32 ، A Geneva School Reader In Linguistics ,Edited by: Robert Godel Indiana University ,Press: Bloomington &Llndon,1969,P:5

[4] علم اللغةالعام"،فردينادند دو سوسير :ص 253،90، التعريف بعلم اللغة"، دافيد كريستل، ترجمة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية 1993،ص76

إذا كنا لم نرث عن النحاة – بخاصة الأوائل منهم– تعريفاً حقيقياً يمس التركيب و يجليه، فإن علينا البحث في حقيقة ذلك الإطلاق بعيداً عما أصاب مصطلح التركيب على أيدي النحاة المتأخرين من حصره في جانب الشكل فقط حين سيطر فكر المعلم على فكر الباحث،و غلب فكر المعلم فكر المنظّر.

المرادف للتركيب هو الجملة التي عرفت حديثاً تعريفاً دلالياً يرتكز على الإفادة؛ فنظر إليها على أنها:"أصغر قطعة يصل إليها التحليل مما يفيد ،و ليست وحدة بنوية تمت بصلة لنظام اللغة التقديري. و هذا لأن المستويين من التحليل البنوي و الدلالي لا يتطابقان بالضرورة"[1].

و هذا ما يرادف مصطلح الجملة في تناول النحاة العرب المتأخرين. إن الجملة تبنى من الوظائف التي تقووم بها أنواع الكلمة من اسم وفعل وحرف.[2]

يمثل الكلام الوحدة الكبرى في دراسة سيبويه؛ إذ تنتظم فيه الوحدات الصوتية المكونة للمستوى المورفولوجي لتصل إلى نظام تركيبي متكامل يضم ظواهر تركيبية عدة. و أول ما يطرح في هذا الباب أسئلة تتصل بتعريف (الجملة) التركيب و خصائصه ما يعد وصفاً ،و لا نحظى بتعريف للجملة في الكتاب؛ فهو مصطلح ظهر متأخراً في "معاني القرآن" للفراء ، ثم نقل عن المبرد في "المقتضب".[3]و عدم وجود مصطلح يتوافق مع مفهومها الحديث لم يكن ليعني عدم وجود المتصور،و ربما كان إطلاق (الكلام) ممهدًا لظهور مصطلح الجملة.[4]

و كما يظهر من خلال تتبع الدراسات اللغوية التالية لسيبويه لم نجد تعريفًا قاراً للتركيب يوضح حدوده ، على الرغم من أن ألفية ابن مالك تضمنت دراسة مفصلة للتركيب العربي وجمعاً لقواعده المعيارية إلا أن تعريف الجملة (التركيب)ظل غائبًا كتعريف محدد، و إن استقر في الأذهان ما هو التركيب من خلال العمل الإجرائي للنحاة.

لذا؛ من المهم في رأيي استقراء كتاب سيبويه بوصفه أقدم كتاب متكامل في النحو العربي و محاولة تحديد الإطلاق الذي يكرره في كتابه (الكلام) و معرفة هل يمكن أن نقرن بينه و بين الإنجاز الفردي للمتكلم في كل مرة يطلق فيها سيبويه هذا الإطلاق؟ و لقد عملت على تتبع كل إطلاقات سيبويه لهذا الإطلاق محاولة ردها إلى عناصر الدراسة اللسانية المختلفة في بحوث متوالية هذا أحدها.

(الكلام) في كتاب سيبويه إطلاق أم مصطلح؟:

و عنوان الدراسة يجعل الكلام إطلاقاً لا مصطلحاً ،و يوضح أن العمل قائم على تتبع هذا الإطلاق فيما يتصل بموضوع البحث و هو خصائص التركيب في كتاب سيبويه.و قد استخدمت إطلاق الكلام؛ لأن المصطلح كما اتضح من الدراسة لم يكن مصطلحًا واضح المعالم

---

(1)"مبادئ في اللسانيات" ،د.خولة الإبراهيمي، دار القصبة للنشر،الجزائر،**2000**، ص100

(2)"العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم و الحديث"،د.محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر العربي ،القاهرة **1983**،ص**33**

(3)" المقتضب"، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، **1963**،ص**8/1**

(4)"عودة إلى المسند و المسند إليه في كتاب سيبويه"، حسن حمزة ،"مجادلة السائد في اللغة و الأدب و الفكر"،ندوة دولية نظمها قسم اللغة و الآداب العربية 23-24نوفمبر 1996م ،الجزء الأول:" في التراث اللغوي و النقدي"، أشرف على تنظيم الندوة و أعد الأعمال للنشر: د. توفيق عامر، السلسلة: السابعة ،المجلد: السابع،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،تونس 2002،ص23،22،21

خالياً من الاشتراك اللفظي و المعنوي؛فلا يبدو استخدام (الكلام) مصطلحًا قارًا في فكر سيبويه ،بل هو إطلاق يوجد في مجالات عدة من أطر الدرس اللغوي.

ذلكأن المصطلح النحوي في الغالب لم يكن مستقراً في كتاب سيبويه؛ ففي ما عدا بعض المصطلحات التي لا يختلف اثنان من النحاة على مفهومها في إطلاق سيبويه تبقى إطلاقات أخرى بحاجة إلى الفهم و إلى ربطها بالدراسات الحديثة و مفهومها في سبيل توضيح نظرة سيبويه لهذا الإطلاق.

الكلام في إطار الإشارة إلى خصائص التركيب و عناصره:

في إطار إطلاق سيبويه (الكلام) للإشارة إلى التركيب تبدو ملامح ما يطلق عليه تركيباً أو كلامًا ، و هو ما يستدعي دراسة المصطلح في إطار مفهوم الجملة في مفهوم المتأخرين و المفهوم المعاصر .

يطلق سيبويه الكلام في معرض حديثه عن التركيب مرتبطاً بعلاقات تركيبية تفيد في توصيل الرسالة اللغوية للمتلقي.و تتبع تلك الإطلاقات في معرض تحديد ماهية التركيب و متطلبات إطلاقه على الإنجاز اللغوي يتضح في العرض التالي الذ يجلي خصائص التركيب:

التركيب:

في إطار إطلاق سيبويه (الكلام) مشارًا إلى مدلوله المتعلق بمفهوم الجملة (التركيب)؛ يرد النص التالي في باب "هذا باب ما إذا لحقته (لا) لم تغيره عن حاله التي كان عليها قبل أن تلحق "يقول: "و مثل ذلك: لا سلامٌ عليكلم تغير الكلام عما كان قبل أن تلحق به."[(1)]و يطلق سيبويه في النص السابق مصطلح (الكلام) على التركيب(سلامٌ عليك)و هو الذي يطلق عليه في الدراسة النحوية التالية مصطلح الجملة؛ فالكلام (التركيب) المشار إليه هو عبارة عن تركيب إسنادي قائم على وظيفتي المسند و المسند إليه .[(2)]

إن أهم ما يجب توفره في التركيب (الكلام) الإسناد،اكتفينا بالإشارة إليه كما برز في النص السابق.و في الجزء الأول من الكتاب يعقد سيبويه باباً بعنوان(هذا باب المسند و المسند إليه)[(3)]يشير فيه لأهمية الإسناد الذي يجعل وظيفتي الإسناد أساس كل إنجاز،و يشير إلى الاحتياج بين المبتدأ و الخبر ؛ فعدم توفر الإسناد لا يحقق تركيباً. و لم يكتف سيبويه في الإشارة للإسناد بهذا الباب؛فالإشارة إليهما تتكرر في مواضع عدة من الكتاب. و لن نطيل في الحديث عن الإسناد الذي جعله سيبويه عماداً للتركيب؛ لأنه لم يأت ممتزجاً بالكلام – موضع البحث – بصورة صريحة في الكتاب.

---

(1)" الكتاب"،سيبويه ،تحقيق:عبد السلام هارون ،عالم الكتب ،الطبعة الثالثة **1983**، ص0301/2

(2)"شرح كتاب سيبويه"، لأبي الحسن الرماني، الجزء الأول، تحقيق: د المتولي بن رمضان وأحمد الدميري ،وكالة الشروق للطباعة و النشر 1993 - 1413 هـ،ص197-199

(3)الكتاب : ص23/1-24

الاحتياج:

و الاحتياج مضاد للاستغناء؛ فالاستغناء يمثل الوجه الإيجابي للتعبير عن الفكرة نفسها، فيما يدل الاحتياج على الوجه السلبي الذي لا يتحقق فيه الاحتياج. و المصطلحات الثلاثة:الإفادة ،و الاستغناء و الاحتياج في زعمي يكمل بعضهما بعضاً.
يمثل الاحتياج إشارة إلى الترابط بين المسند و المسند اليه في المعنى [1]،و لضرورة كل منهما لتحقق التركيب، ففي حديث سيبويه عن التركيب:(حسبتني عبدَ الله مررتُ به) يقول:"لأن هذا المضمر المنصوب (الياء)بمنزلة المرفوع في (كنت)؛لأنه يحتاج إلى الخبر كاحتياج الاسم في (كنت) كاحتياج المبتدأ"[2]؛فحسب سيبويه "إذا قلت (ضاربٌ رجلاً او مأخوذٌ بك)و أنت تبتدئ الكلام، احتجت ههنا إلى الخبر،كما احتجت إليه في قولك: (زيدٌ)،و(ضاربٌ) ، و (منك) بمنزلة شيء من الاسم في أنه لم يسند إلى مسند ،و صار كمال الاسم. كما أن المضاف إليه منتهى الاسم و كماله."[3]هذا الاحتياج ذو وجهين: الأول: وجه وظيفي ،لا يتحقق التركيب دون وجوده، و الثاني:احتياج معنوي ،يعطي الرسالة اللغوية التي يقدمها التركيب معنى مفيدًا قابلاً للإبلا غ. وهنا ينظر سيبويه إلى مسألة استيفاء الوظائف الأساسية في الجملة من خلال النظرة المعيارية للوصول للصورة الافتراضية للتركيب.

الاستغناء:

و الكلام استغناء ،إذ يعد الاستغناء شرطًا لبناء التركيب .و هو ما أفهم منه أنه استغناء التركيب بوظيفتيه الأساسيتين المسند و المسند اليه مما يحقق فائدة هي نواة الجملة ،و ينجح بهما التركيب في أداء المهمة التواصلية من خلاله، يقول سيبويه:"في "هذا باب ما ينتصب من الأماكن و الوقت":"و نحو قوله (هو خيرٌ منك عملاً) فصار (هو خلفَك)و(زيدٌ خلفَك) بمنزلة ذلك. و العامل في (خلف) الذي هو موضع (له) و الذي هو في موضع خبره، كما أنك إذا قلت(عبدُ الله أخوك) فالآخر قد رفعه الأول، وعمل فيه، و به استغنى الكلام.و هو منفصل منه."[4]فالآخر في (عبدالله أخوك) حقق الاستغناء في التركيب بتوفر وظيفتي المسند و المسند إليه، هاتان الوظيفتان هما في باب كان اسمها و خبرها، يقول:"و لو قلت (كنتُ أخاك) و(زيداً مررت به) نصبت؛ لأنه قد أنفذ إلى مفعول و نصب، ثم ضممت إليه اسمًا و فعلاً. و اذا قلت(كنتُ زيدٌ مررتُ به)، فقد صار هذا في موضع أخاك، و منع الفعل أن يعمل...ألا ترى أنه لم ينفذ الفعل في (كنت) إلى المفعول له الذي به يستغني الكلام كاستغناء (كنت) بمفعوله، فإنما هذه في موضع الإخبار و بها يستغني الكلام."[5]

فيحصل الاستغناء في التركيب باستيفاء الوظيفتين الأساسيتين الرئيستين، يشير سيبويه إلى أنه يقبح (أنك منطلقٌ بلغني و عرفت)، و يعلل ذلك بـ"لأن الكلام بعد (أن) و(إن) غير مستغنٍ، كما أن المبتدأ غير مستغنٍ."[6]فهذه إشارة واضحة إلى أن الاستغناء يكون بتكوين نواة التركيب المسند و المسند إليه. يصرح سيبويه بذلك في تحليله التركيب في الآية: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

[1]"الجملة العربية: دراسة لغوية نحوية"، د. محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف، الإسكندرية 1984،ص37، "بناء الجملة العربية"،د.محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب،2003،ص:96

[2]الكتاب: ص 149/1

[3] السابق: ص 328/3

[4]السابق:406/1

[5] السابق 148/1-149

[6] السابق 124/3

ِٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]قائلاً: "و لا تكون (يعني (أنْ)) (أي)؛لأن (إي) تجيء بعد كلام مستغنٍ، و لا تكون في موضع المبني على المبتدأ. ومثل ذلك[2]﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ١٠٤ قَدۡصَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ إِنَّاكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ١٠٥﴾ كأنه قال جل و عز و ناديناه أنك قد صدقت الرؤيا يا إبراهيم."[3]فإن تجيء قبل كلام مستغن وظيفيًا و علائقياً ،من هنا ليس لها وظيفة تركيبية مباشرة و أساسية تفقد الأسلوب معناه الكامل عند حذفها ؛لأن دورها أسلوبي على مستوى البنية.

و يقترن الاستغناء بالعلاقات التركيبية بين وحدات التركيب فيما عبر عنه النحاة بالعمل،يقول سيبويه: "و أما قولهم (داري خلفَ دارك فرسخاً)، فانتصب لأن (خلف) خبر للدار، و هو كلام قد عمل بعضه في بعض واستغنى...ألا ترى أنك تقول (دارك من خلف داري) فيستغني الكلام."[4]فهنا إشارة إلى صفتين من خصائص التركيب؛ أولهما أن التركيب يقوم على العلاقات بين وحدات التركيب فيما يعبر عنه النحاة بالعمل ، و الثانية : ضرورة تحقق الاستغناء بأن يستغني التركيب بوظيفتيه الرئيستين ليصبح محتويًا على رسالة لغوية قابلة للفهم و التوصيل.[5]

و ارتباط الاستغناء بالعمل في تناول سيبويه يدل على أن الاستغناء ذو وجهين؛ الأول استغناء علائقي وظيفي يتمثل في استغناء التركيب بالوظيفتين الرئيستين ،و الثاني وظيفي علائقي معنوي يتمثل في الربط العلائقي من خلال عمل المسند إليه في المسند الذي يفضي إلى الاستغناء.

و يعبرسيبويه عن الاستغناء بمرادف له هو (الاكتفاء)الذي يفهم أنه اكتفاء التركيب بوظائفه الأولية ، مما يؤدي إلى تغير وظيفة وحدة ما،يقول سيبويه: "في هذا باب من البدل أيضًا" : "فأما (ضربتُ) ...و و (قتلتُ) و نحوهما : (مثل ضربتُه إياه قائماً) ، فإن الأسماء بعدها بمنزلة المبني على المبتدأ. و إنما تذكر قائمًا بعدما يستغني الكلام و يكتفي و ينتصب على أنه حال، فصار هذاكقولك:(رأيته إياه يوم الجمعة)."[6]فالمبني على المبتدأ هو الخبر يؤدي ما يؤديه الفاعل ، و التركيب هنا استوفى وظيفتيه الأساسيتين في الجملة الفعلية.و هو يربط يربط بالبناء بين الفعل و المفعول. و يعبر بأو اكتفى عن ذلك.وعدم توفر الوظيفة الثانية القادرة على المشاركة في الإفادة(الخبر/الفاعل) تقدم تركيباً قاصراً من حيث الاستغناء (الاكتفاء) المعنوي و العلائقي.

الإفادة:

و الإفادة صورة لأداء الرسالة اللغوية وظيفتها التواصلية بنجاح. إن تبادل الأدوار بين أقسام الكلمة يؤدي أحياناً لاختلال تلك الوظيفة و قصور التركيب عن أداء مهمته في التوصيل. يلجأ سيبويه للاستبدال كآلية استخدمها النحاة في تحديد أقسام الكلمة. و يبدو ذلك في حديثه عن الاستبدال في الفعل المضارع،يقول: "و يبين لك أنها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك، ألا ترى أنك

---

(1) سورة يونس الآية: 10

(2) سورة الصافات الآيتان: 104،105

(3) الكتاب:ص 163/3

(4) السابق 417/1

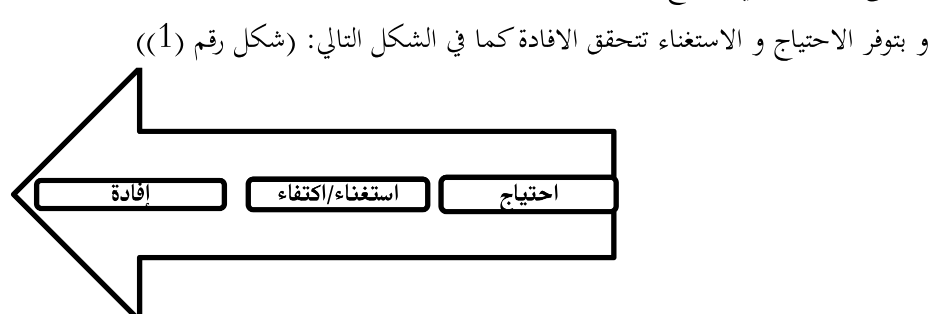
(5) السابق.

(6) السابق387/2

لوقلت:(إن يضربَ يأتيَنا) و أشباه هذا لم يكن كلاماً."[1]لعدم توفر وظيفتي المسند و المسند اليه؛ فالوحدة اللغوية (الفعل) لا تقع في هذا الموقع من التركيب و لا تؤدي وظيفة المسند إليه؛فما لا يجعل التركيب كلامًا عجز الوحدة اللغوية (يضرب) عن أداء الوظيفة المتوقعة منها في هذا الموقع و هي وظيفة الإسناد إليه التي تفرد بها الاسم.[2] هذا العجز يربك التركيب، و يجعله غير قادر على الوفاء بالمهمة التواصلية، و ينتج عنه عدم الإفادة، فيخرج من كونه كلاماً (أي تركيبا).

إن الفائدة التي لم يحققها التركيب الممثل به لم تتحقق؛ لعجز الفعل عن أداء ما يتطلبه تحقق تلك الفائدة من ممارسة العلاقات الاستدعائية القائمة على الاستبدال في التوزيع.

و بتوفر الاحتياج و الاستغناء تتحقق الافادة كما في الشكل التالي: (شكل رقم (1))



الاعتماد :

و مما يجب توفره في التركيب حسب سيبويه الاعتماد ؛فالكلام (التركيب) في رأي سيبويه معتمد بعضه على بعض؛إذ يتصل بالاستغناء و الاحتياج، و يرتبط بالإفادة بصورة ما ،فالاعتماد ينفي وجود النقص الوظيفي الذي ينشأ حين لا يتحقق الإسناد. ففي "باب الحكاية التي لا تغير فيها الأسماء عن حالها في الكلام" يشير سيبويه إلى أن "(منْ زيدٍ) لا يكون كلاماً حتى يكون معتمداً على غيره، و كذلك (قط زيدٍ)، كما أن (غلام زيدٍ) لا يكون كلاماً حتى يكون معه غيره"[3]

يشير الاعتماد إلى أن فقدان وظيفة واحدة لا يمكن أن ينجح معها المنجز في توصيل رسالة لغوية؛ فالخبر وحده لا يحقق الاكتمال الوظيفي و المعنوي ف(من زيدُ) تبقى بحاجة الى ما تعتمد عليه ليستوفي التركيب حاجته إلى الوظيفة الثانية ،كما ان المبتدأ وحده يبقى بحاجة الى ما يعتمد عليه ليؤدي الإفادة فيحدث الإسناد المتكامل و يتحقق استغناء التركيب، و ينتفي احتياجه عندما يعتمد بعضه على بعض .هذا الاعتماد نواة التركيب في المستوى الأفقي ويستتبع علاقات ،و يمثلا لترابط بين وحدات التركيب لتحصل على وظيفة تترابط وحداتها وظيفياً و علائقياً. إن الفراغ الوظيفي لا يمكن أن ينتج عنه تركيب.

و يمثل الاعتماد اكتمال الوظيفتين الأساسيتين في التركيب. و الأمثلة التي مثل بها تعطي صورتين ؛الأولى لما هو معتمد على غيره، و هو الخبر (من زيدٍ) الذي يعتمد على المبتدأ ليكون جملة، و الثانية: للمبتدأ الذي (يكون معه غيره)؛ أي تكون معه وحدتان أخريان تعتمدان عليه لتتم وظيفة الإسناد (غلام زيد في حال عده مبتدأ).

---

(1) السابق 14/1

(2) "المصطلح النحوي و تفكير النحاة العرب"،توفيق قريرة،كلية الآداب، منوبة، و دار محمد علي ،تونس، الطبعة الأولى 2003،ص181

(3) الكتاب: 330/3

الترابط:

يحدث الترابط بين وحدات التركيب(الكلام)من خلال وحدات لفظية [1]تتموضع في البنية الشكلية، كما يحدث من خلال الترابط المعنوي الذي تقتضيه علاقات تركيبية تفسر من خلال نظرية العمل.[2] لكن فقدان الربط اللفظي يعد سبباً لانتفاء التركيب(الكلام)،ففقدان الضمير الرابط في (أزيداً ضربت عمراً)أفقد التركيب كمال المعنى و الإفادة في نظر سيبويه، بل أفقده صفة التركيب ؛لأن عمراً وحدة لغوية لا تؤدي دوراً في إحداث الترابط المعنوي الذي يتيح بنية تركيبية متماسكة، و فقدان ذلك الترابط أفقد المنجز (أزيداً ضربت عمراً) أفقده صفة أن يكون كلامًا أو تركيباً .

وفقدان الترابط و الحاجة إليه يظهرأيضاً في مثاله الآخر:(مررت برجل قائمٍ عمروٌ و قائمٍ أخوه)، و يطلق عليه معياريا (قبحاً)؛لأنه من وجهة نظره المعيارية لا يرقى لمستوى الصواب. و العلة في ذلك فقدانه الرابط بين المنعوت والترابط السببي الذي لم يوجد بين فاعل المشتق و المنعوت، فلا يوجد رابط معنوي أو لفظي بين (عمرو) فاعل المشتقفي(قائم عمرو) والموصوف(رجل)،وفقدان الترابط أفقد الإنجاز مسمى التركيب من وجهة نظره.

مرة أخرى يقابل بين نوعين من التراكيب؛أحدهما توفر فيه الربط بين وحداته و آخر لم يتحقق فيه ذلك الترابط،و يحكم بأن ما لم يتحقق فيه الربط لم يكن كلاماً، فيطلق حكماً معيارياً يقتضي تصويب التركيب(ما زيدكريماً و لا عاقلاً أبوه) لتحقق الربط من خلال حرف العطف الذي أضفى تماسكاً بين وحدات التركيب ،و لم يكن (عاقلاً أبوه) الذي تضمن فاعلاً للمشتق، فيه الرابط اللفظي و المعنوي (الهاء) مرفوضاً لتحقق الربط.[3]فالعلاقة السببية المعنوية بين وحداته لها دور كبير في الربط المعنوي و انتقال المنجز من ما هو (ليس كلاماً) ليصبح (كلاماً). يقول سيبويه"و تقول: (ما زيدٌ كريماً و لا عاقلاً أبوه) تجعله كأنه للأول بمنزلة كريم،لأنه ملتبس به إذا قلت (أبوه) تجريه عليه كما أجريت عليه (الكريم) ؛لأنك لو قلت (ما زيدٌ عاقلاً أبوه)نصبت و كان كلاماً .(توفر السببية)و تقول: (ما زيدٌ ذاهباً و لا عاقلٌ عمروٌ)؛ لأنك لو قلت (ما زيد عاقلاً عمروٌ) لم يكن كلاماً؛ لأنه ليس من سببه (لانتفاء العلاقة المعنوية و الربط المعنوي بين وحدات التركيب مما يفصم ترابط المعنى)،فترفعه على الابتداء و القطع من الأول، كأنك قلت (وما عاقلٌ عمروٌ). "[4]

و بهذا يمثل الترابط بين وحدات التركيب دورًا مهمًا تقوم به الوحدات اللغوية الأساسية و غير الأساسية فيه ؛فكما أن الوظائف و العلاقات مهمة في هذا الترابط،كذلك يعد الترابط المعنوي مهماً في إقامة التركيب وفق ما يقتضيه النظام اللغوي ،يقول سيبويه:"و لو قلت

---

[1]"من نحو الجملة إلى نحو النص: دراسة و تطبيق"، إبراهيم خليل، مجادلة السائد في اللغة و الأدب و الفكر،ندوة دولية نظمها قسم اللغة و الآداب العربية 23-24نوفمبر 1996م ،الجزء الأول:" في التراث اللغوي و النقدي"، أشرف على تنظيم الندوة و أعد الأعمال للنشر، د. توفيق عامر، السلسلة السابعة، المجلد: السابع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، تونس: 2002،ص57

[2]و ينظر: " الجملة العربية: تأليفها و أقسامها"، د. فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، عمان ،الطبعة الأولى 2002- 1422، ص 88، 97،140، 375

[3]الكتاب:61/1

[4] السابق

(أزيداً ضربت عمراً وضربت أخاه) لم يكن كلاماً؛ لأن (عمراً) ليس فيه من سبب الأول شيء و لا ملتبساً به؛ ألا ترى أنك لو قلت (مررت برجلٍ قائمٍ عمروٌ و قائمٍ أخوه) لم يجز،لأن أحدهما التبس بالأول، و الآخر ليس ملتبساً".[1]فقد تحقق الربط بين وحدات التركيب الذي حقق متطلبات إطلاق لفظ الكلام (التركيب) عليه،فالربط المعنوي بين أجزاء التركيب مهم لتكونه،هذا الربط العلائقي هو الفيصل في اعتبار المنجز كلاماً (تركيباً). ثم يمثل بقولك (ما زيدٌ ذاهباً و لا عاقلٌ عمروٌ) فالتركيب يقدم معلومتين و رسالتين لغويتين لا علاقة بينهما ،فلا رابط معنوياً أو لفظياً بين ما قبل الواو و ما بعدها ؛فعمرو فاعل عاقل لا يلتبس إن معنويًا أو لفظيا بأول التركيب مما أفقده وظيفة الكلام ؛لكون التركيب لم يتحقق فيه ترابط بين أجزائه، و بناء على ذلكيصدر حكمًا بأن ما بعد الواو هو تركيب مستأنف مقطوع عما قبله لعدم تحقق ذلك الربط.

و هذا الترابط قد يتحقق بمورفيمات أخرى. إن ما تؤديه تلك المورفيمات هو الربط الشكلي أو المعنوي الذي يقدم في النهاية تركيباً قادراً على الإفادة وتوصيل الرسالة اللغوية، فيحدث الترابط بين وحدات التركيب بمورفيمات تؤدي هذا الدور كالفاء في الجملة جواب الشرط يقول: "كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول"في تعليقه على قوله تعالى:﴿وَإِن تُصِبهُم سَيِّئَةُ بِمَا قَدَّمَتأ ۜيدِيهِم إِذَا هُم يَقنَطُونَ٣٦﴾[2]بعد أن ذكر قول الخليل:"هذا كلام معلق بالكلام الأول، كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول.و هذا ها هنا في موضع (قنطوا)، كما كان الجواب بالفاء في موقع الفعل."[3]فكأن الجملة الشرطية تتكون من كلامين (تركيبين غير مستقلين) يربط بينهما الفاء؛ فالكلام الأول هو جملة الشرط ،و الكلام الثاني هو جملة جواب الشرط ،و هما تركيبان غير مستقلين يربطهما مورفيم {ف} و ينتج جملة الشرط.

تحقق العلاقات التركيبية:

و يعنى بها ما اصطلح عليه النحاة بالعمل. في "هذا باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى إلى المفعول و لا غيره"يقول سيبويه:"لأنه كلام قد عمل بعضه في بعض ،فلا يكون إلا مبتدأ لا يعمل فيه شيء قبله؛ لأن ألف الاستفهام تمنعه من ذلك، و هو قولك:(قد علمت أعبدُ الله ثم أم زيدٌ)،و(قد عرفت أبو من زيدٌ) و(قد عرفت أيَ ۜهم أبوه)."[4]

فالتركيب إذن يحقق بالعمل وحدة منغلقة على ذاتها ترتبط بتأدية وظائف أخرى تركيبية شكلية أو معنوية إلا أنها تتسم بالانغلاق و إن فسرت بما هو خارج التركيب؛فيمثل المبتدأ بعد ألف الاستفهام بداية جديدة لتركيب مستقل معنوياً و تركيبيًا عما قبله،و قد يؤدي ذلك التركيب وظيفة المفرد في تركيب آخر متضمن فيه إلا أنه يبقى مستقلاً كبنية تشكل نظاماها الخاص. و وفق نظرية العمل، فإن الكلام(التركيب) يعمل بعضه في بعض، فما بعد أداة الاستفهام تركيب جديد يرتبط بعلاقات (البناء و الاستغناء و الاحتياج) بين المبتدأ و الخبر، كما يظهر في قوله:"كما أنك إذا قلت عبدُ الله هل رأيته فهذا الكلام (هل رأيته) في موضع المبني على المبتدأ الذي يعمل فيه فيرفعه."[5]فما بعد ألف الاستفهام تركيب له ضوابطه الخاصة و بناؤه على الرغم من ارتباطه وظيفياً بالتركيب الأكبر.

---

(1)السابق:ص108/1

(2)سورة الروم الآية:36

(3) الكتاب:ص 63/3-64

(4) السابق:ص235/1

(5) السابق236/1

و تكون علاقات التركيب و العلاقة الإسنادية بخاصة أساساً يقوم عليه تحقق التركيب[1].يعلق سيبويه على قولك: (أمتى تشتمني أشتمك) و(أَمَن يفعل ذاك أزرْه) بقوله:"و ذلك لأنك أدخلت الألف على كلام قد عمل بعضه في بعض فلم يغيره .و إنما الألف بمنزلة الواو و الفاء و لا و نحو ذلك ،لا تغير الكلام عن حاله."[2] و يعني بالتغيير هنا تغير الأسلوب من خبر لاستفهام أو العكس، يقول:"ألا ترى أنها تدخل على المجرور و المنصوب و المرفوع فتدعه على حاله و لا تغيره عن لفظ المستفهم ، تقول:(مررت بزيد)، فيقول(أزيد؟)"[3]و يشترط في التركيب أن يكون كما يقول سيبويه عن (إنما) في (وجدتك إنما أنت صاحب كل خنى):"أدخلتها في كلام قد عمل بعضه في بعض."[4]وهكذا قد تدخل بعض المورفيمات على بداية التركيب إلا انها لا تؤثر فيه إلا كرابط لفظياً و معنوي تربطه بما قبله و يبقى كتلة واحدة من خلال العمل ،و إن أدت تلك المورفيمات إلى التأثير المعنوي على التركيب و الأساليب، و بذا يعد العمل من الأسس التي يقوم عليها تشكل التركيب عند سيبويه.

البناء:

و البناء مفهوم قد يتقاطع مع الإسناد، لكنه لا يتطابق معه؛إذ يشير البناء إلى علاقات تركيبية بين وحدتين في التركيب لا علاقة لهما بالضرورة بالإسناد، و يعد البناء – ملتبسًا بالإسناد أو غير ملتبس–أحد العناصر المهمة في إطلاق سيبويه الكلام على منجز لغوي.ويمثل علاقة صورية تربط لفظة بأخرى، يتغير حكم كل واحدة منهما، تسمى الأولى المبني عليها و الثانية المبنية.[5]

يقوم الكلام على البناء الذي يتيح ارتباطاً لوحدة لغوية بوحدة لغوية أخرى قد تكونان معًا نواة لتركيب يؤدي دوراً في العملية التواصلية، فيبنى جزء من الكلام على أوله ،و هذا البناء عنصر مهم في تكون التركيب عند سيبويه ،يقول سيبويه :"و إذا قلت له صوت فالذي في اللام هو الفاعل، و ليس الآخر به. فلما بنيت أول الكلام كبناء الأسماء كان آخره أن يجعل كالأسماء أحسن و أجود، فصار كقولك: (هذا رأسٌ رأسُ حمار) و(هذا رجلٌ أخو حربٍ) إذا أردت الشبه."[6]و بناء أول الكلام كبناء الأسماء يشعر بأن البناء شرط لوجود التركيب.و يحدده سيبويه بقوله:"فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام،و المبتدأ و المبني عليه رفع؛ فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه ،فالمبتدأ الأول، و المبني ما بعده عليه فهو مسند و مسند إليه."[7]

يعد البناء عند سيبويه شرطًا لتكون التركيب؛ ففي "هذا باب أي مضافًا إلى ما لا يكمل اسمًا إلا بصلة "يتحدث عن التركيب (أيُ من يأتينا يريد صلتنا ...فنحدثه)، و يرى أنه يستحيل في وجه ،و يجوز في وجه، يقول: "و أما الوجه الذي يجوز فيه، فأن يكون (يريد)مبنيًا على ما قبله، و يكون يأتينا الصلة. فإن أردت ذلك كان كلامًا كأنك قلت: (أيُهم يريد صلتنا فنحدثُه، و فنحدثْه) إذا أردت

---

(1)" الجملة العربية: تأليفها و أقسامها"، د. فاضل السامرائي،**ص**23

(2)الكتاب82/3

(3) السابق

(4) السابق131/3

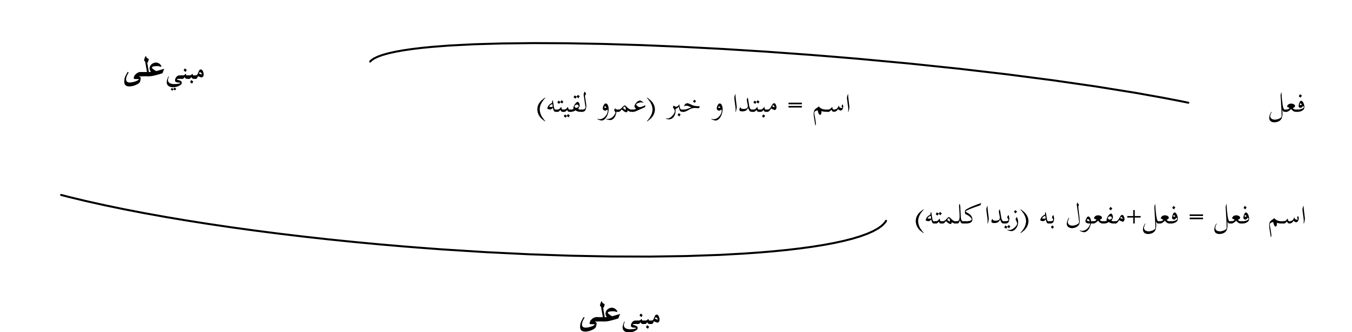
(5) "مبادئ في اللسانيات" ،د.خولة الإبراهيمي،ص112

(6) الكتاب365/1

(7) السابق 126/2

الخبر."[1]كما يمثل ركيزة مهمة لوصف المنجز بأنه تركيب؛ يقول سيبويه عن مثل(هذا عبدُ الله منطلقاً) "فهذا اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده و هو عبدُ الله، و لم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله فالمبتدأ مسند و المبني عليه مسنداً إليه"[2]،فالإسناد صورة من صور البناء، و لا يمكن القول بأن البناء هو بالضرورة إسناد. و يصرح سيبويه بأهمية البناء كعنصر مهم في تكوين التركيب، يقول في (أنا إن تأتني آتيك):"لأن لا يكون (أنا)كلامًا حتى يبنى عليه شيء ."[3]

و يبدو أن البناء لا يتوقف فقط على علاقة أولية ضرورية لبناء التركيب (مسند+مسند اليه)،و لكنه يشير إلى ترابط علائقي في ما غير ذلك من العلاقات؛ فالاسم حين يبنى عليه فعل تكون العلاقة مبتدأ و خبرًا، و الاسم حين يبنى على الفعل تكون العلاقة مفعولاً به[4]، فهو ارتباط بين وحدتين من وحدات التركيب و يمكن تصوير ذلك كالتالي: (الشكل رقم (2))



و يظهر ذلك حين تأتي هذا الرابطة العلائقية في عنوان باب:"هذا ب‍ ‍سس ي‍ ‍ـ سم على اسم بني عليه الفعل مرة ، و يحمل مرة أخرى على اسم مبني على الفعل" ،و يمثل لذلك بقولك : (عمروٌ لقيته) و(زيدٌ كلمته) :"إن حملت الكلام على الأول، و إن حملته على الآخر قلت: (عمروٌ لقيته) و(زيداً كلمته)."[5]

و البناء كما يظهر لا يوجد إلا في إطار نظرية العمل و من منطلق تلك النظرية سواء أكان التركيب مستقلاً أم مضمناً في تركيب آخر[6]،كما يظهر في تحليل علاقات البناء في التركيب (أنا (عمروٌ (ضربته))الذي يتضمن ثلاث علاقات بناء:

- العلاقة رقم (1) (أنا عمروٌ ضربته): و فيها بناء التركيب المضمن الذي يؤدي وظيفة الخبر(عمروٌ ضربته) على المبتدأ(أنا).
- العلاقة رقم(2) :علاقة البناء في التركيب الذي أدى وظيفة الخبر، و هي علاقة بناء فعل (ضرب) على اسم (عمرو)
- العلاقة رقم (3): علاقة بناء اسم (المفعول به الهاء) على فعل و هو (ضرب).

و هكذا يظهر من التوضيح السابق أن البناء لا يكون إلا من خلال نظرية العمل.

---

(1) السابق 406/2

(2) السابق 78/2

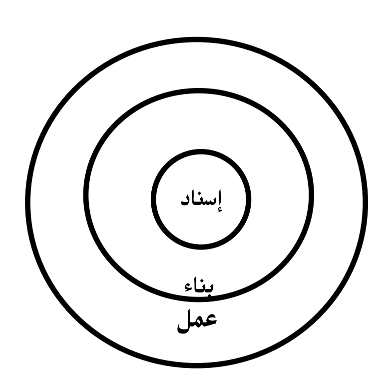
(3) السابق 83/3

(4) السابق 91/1

(5) السابق91/1

(6)عودة إلى المسند و المسند إليه في كتاب سيبويه"، حسن حمزة "،ص 37

و على الرغم من كون الإسناد مرتكزاً أو نواة للجملة إلا أن البناء و مع تشابه بينهما يتعدى علاقة الإسناد ليمكن انعقاده بين أجزاء أخرى من الجملة خارج نواة التركيب. يمكن القول بأن كل إسناد بناء، و ليس كل بناء إسنادًا، على الرغم من أن كل إسناد عمل ،و كل بناء عمل، فالعمل هو الإطار الأوسع الذي يضم كلاً من الإسناد و البناء. و العلاقة بين الإسناد و البناء و العمل تصور في الشكل التالي: (الشكل رقم (3))



تحقق العلاقات التركيبية المكملة:

فتوزيع الوحدات و العلائق التركيبية المكملة التي ينتج عنها طول الكلام (التركيب) تسمح باتساع الشحنة الإخبارية و تعددها، و لكنها فيكل ذلك تخضع لقوانين التوزيع التي يتطلبها وجود الوحدة في التركيب سواء مما يتطلبه (العمل) أو النظام العلائقي في التركيب أو توزيع الوحدة و علاقات الاقتراب و الابتعاد التي يستدعيها وجودها في التركيب.يقول سيبويه:"إن قلت: سير عليه طويلٌ من الدهر و شديدٌ من السير فأطلت الكلام و وصفت كان أحسن و أقوى."[1]

إضافة إلى وظيفتين رئيستين في التركيب يمكن أن يطول التركيب بمكملات تمثل علاقات تركيبية إضافية تزيد الشحنة الإخبارية فيه. و في إطار إطلاقه (الكلام) دالاً على التركيب يشير إلى طول الكلام الذي يمكن أن يفهم منه تعدد العلاقات التركيبية في تركيب ما والتي قد تتعدى علاقة المسند بالمسند إليه.و يشير طول الكلام إلى تعدد الوحدات اللغوية في بنية التركيب، و يكون طول الكلام علة لخيار إعرابي لتركيب ما ؛فسيبويه يجعل "النصب في الفصل أقوى إذا قلت (هذا ضاربُ زيدٍ فيها و عمراً) و كلما طال الكلام كان أقوى ،و ذلك أنك لا تفصل بين الجار و بين ما يعمل فيه فكذلك صار هذا أقوى."[2] و تحقق هذه العلاقات المكملة لا يعد من مستلزمات قيام التركيب، و ليس له أهمية الوظيفتين الرئيستين ؛فقد توجد أو لا توجد.

---

(1) الكتاب: 228/1

(2) السابق 174/1

توفر قوانين صياغة التركيب شكلياً و توزيع الوحدات:

يقول سيبويه في "هذا باب لا يكون و ليس و ما أشبههما:"ألا ترى أنك لو قلت (أتوني ما حاشا زيداً) لم يكن كلاماً."[1] إن انتفاء صفة الكلام (التركيب) عن هذا المنجز تعود إلى وجود وحدة لغوية لا تتموضع وفق قوانين صياغة التركيب في هذا الموقع؛فإقحام (ما) في بنية لا تتطلبها بل لا تقبل وجودها ينفي صفة الكلام ؛لأن التركيب هنا لم يف بقوانين التوزيع الشكلي و المعنوي الذي تتموضع فيه الوحدة.

و في الوقت الذي يشير مصطلح (التمكن في الكلام) إلى قدرة الوحدة اللغوية على التموضع في أماكن مختلفة من التركيب، فإن لزوم الوحدة اللغوية مواضع بعينها لا تتجاوزها يعني عدم تمكنها في الكلام أي التركيب، مما لا يتيح لها الوجود إلا في توزيع خاص لا تتعداه. و ذلك أحد معاني عدم التمكن في الكلام التي تصادفها في تناول النحاة للظاهرة اللغوية التركيبية و ذلك حين يتصل عدم التمكن بوصف التركيب.فيقول سيبويه عن (كم) "إلا أنها لا تتصرف تصرف (يوم) و(ليلة) ،كما أن (حيث) و(أين)لا يتصرفان تصرف (تحتك) و(خلفك) و هما موضعان بمنزلتهما غير أنهما حروف لم تتمكن في الكلام، إنما لها مواضع تلزمها في الكلام"[2]فكما يتضح في النص فإن كون الوحدة اللغوية لم تتمكن في الكلام يفضي إلى أن لها مواضع تلزمها في التركيب.و هنا يأتي مصطلح التمكنفي الكلام مشيراً الى الربط بين المستوى المورفولوجي و ما يترتب عليه في المستوى التركيبي التالي له ،و تبسط نظرية الأصل و الفرع نفوذها على البنية الصرفية للكلمة لترافقها في المستوى التركيبي الأعلى.

فالتمكن في الكلام في دراسة التركيب يعني عند سيبويه توزع الوحدة اللغوية (المورفيم) في وظائف مختلفة، يصرح سيبويه مرة أخرى بذلك في قوله:"و زعم أن (كم درهماً لك) أقوى من (كم لك درهماً) و إن كانت عربية جيدة. و ذلك أن قولك (العشرون لك درهماً) فيها قبح، و لكنها جازت في كم جوازاً حسناً؛ لأنه كأنه عوضاً عن التمكن في الكلام؛ لأنها لا تكون إلا مبتدأ ،و لا تؤخر فاعلة و لا مفعولة."[3]

التزاوج بين الشكل و المعنى:

كل هذه العناصر التي تراعى في تكوين التركيب يتوجها سيبويه بالنظر إلى التركيب باعتباره اتحاد الشكل مع المعنى، يظهر ذلك في باب " هذا باب الاستقامة من الكلام و الإحالة"[4] الذي يعد من مقدمات الكتاب، و الذي يصور أيضًا التلاحم الفكري بين الفكر النحوي و الفكر البلاغي الذي لم يكن قد نضج بعد و الذي سينفصم في المستقبل في عمل النحاة.[1]

---

(1) السابق350/2

(2) السابق156/2

(3) السابق 158/2

(4) السابق25/1-26

يقسم سيبويه الكلام إلى مستقيم حسن،و محال ،و مستقيم كذب،و مستقيم قبيح ،و ما هو محال كذب؛ فالمستقيم الحسن مثّله بقولك:(أتيتك أمس) و(سآتيك غدًا)،أما المحال، فعرفه بأن تنقض أول كلامك بآخره، و مثّل له بقوله:(أتيتك غدًا) و(سآتيك أمس)،و مثّل للمستقيم الكذب بقولك:(حملت الجبل) و(شربت ماء البحر)،أما المستقيم القبيح، فقد عرفه أيضًا بأنه أن تضع اللفظ في غير موضعه، و مثّل له بقوله:(قد زيدًا رأيت) و(كي زيدًا يأتيك)،ثم مثّل للمحال الكذب بقوله:(سوف أشرب ماء البحر أمس).[2]

و يبدو أن معنى الاستقامة في كلام سيبويه يدل على صحة البنية الشكلية للتركيب على اختلاف مراتبها في الصحة معيارياً، يؤيد ذلك تفسير السيرافي بقوله بأن المستقيم:"ما لم يكن في لفظه خلل من جهة اللغة و النحو"[3]و هذا ما يتضح من الأمثلة التي ضربها سيبويه. و عليه ؛فإن المستقيم درجات من حيث الصواب معيارياً؛ أعلاها الحسن، و أدناها القبيح، و الفرق بين الحسن و القبيح يعود إلى اختلال توزيع الوحدات في التركيب بعدم مراعاة قوانين الصياغة الشكلية ،كما في (قد زيدا رأيت).فبتأمل الأمثلة التي ضربها سيبويه لكل ضرب يمكن أن نستنتج أن المستقيم يكون التركيب فيه خاضعاً للقوانين الشكلية في إقامة التركيب، لكنه يتفاوت في مرتبة استقامته بين الحسن و القبيح ؛ففي حين يكون الحسن لا تناقض فيه مع تلك القوانين الشكلية و مستقيماً من جهة وظائف الوحدات ،و في الوقت نفسه لا يتعارض مع المعنى ، ويقدم معنى مقبولاً لا تعارض فيه ،و يمثل المرتبة الأولى من الاستقامة،يكون المستقيم القبيح في أدنى درجات القبول؛ فهو مستقيم من جهة أنه يحمل معنى يصل للمتلقي لكنه قبيح من جهة أنه يخالف قواعد توزيع الوحدات في التركيب كما في(قد زيدًا رأيت)، كما أنه قد يخالف ما تقتضيه الوظيفة من حركات إعرابية تظهر في الشكل كما في (كي زيدًا يأتيك)، و يخالف ترتيب الوحدات بالفصل بين كي و الفعل الذي عملت فيه.ويجمع التركيبين كونهما يوصلان المعنى مستقيمًا ،وأن مخالفتهما لقوانين الترتيب و التوزيع و العلاقات يجعلهما قبيحين.

فسيبويه لا يقصي التركيب الذي لا يستقيم فيه المعنى ما دام قواعدياً عن أن يكون كلاماً بصرف النظر عن تصنيفه بين المستقيم و المحال؛ حيث تشكل الاستقامة الجانب الشكلي للتركيب الذي يتمثل في التوزيع الصحيح للوحدات اللغوية في التركيب مما يجعل بعض المحال يشترك في صفة الاستقامة.

أما الإحالة التي يقصد بها التغيير الذي يحدث بنقض أول التركيب آخره ، فإنها في الغالب تتجه وجهة معنوية يظهر ذلك من المثالين المحالين(أتيتك غدًا)، و (سوف أشرب ماء البحر أمس)؛ فأولهما مستقيم محال. و قد وضح سيبويه أن المستقيم المحال أن تنقض أول كلامك بآخره ،كما في(أتيتك غدًا) حيث التناقض بين مورفيمات الزمن المتضمن في صيغة الفعل و ما يؤديه المورفيم (غداً)، و هذا

[1] و ينظر: "في المسار التطوري للنحو العربي :قراءة في تحول المنهج من المبنى إلى المعنى"، د. الطيب دبة، "مجلة الدراسات اللغوية"، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية،المجلد: 8 ،العدد: 2 ،مايو 2006،ص: 62، 63، 64، 71،"الأصول البلاغية في كتاب سيبويه و أثرها في البحث البلاغي"، د.أحمد سعد، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى1419هـ-1999م ،ص : 197، 206، 222

[2]و ينظر: مصطلح علم الحديث و التقعيد النحوي عند سيبويه"، د. فكري محمد سليمان، علوم اللغة ،المجلد: الخامس، العدد: الرابع 2002 ،القاهرة. 2006،ص222، 226، 246، 264،

[3] " شرح الكتاب"، لأبي سعيد السيرافي، الجزء الثاني، تحقيق: د. رمضان عبد التواب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990،ص89/2-90 ،النكت في تفسير كتاب سيبويه"،للأعلم الشنتمري، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية ،المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، الكويت ،الطبعة الأولى، 1407هـ -1987،ص134/1

يفضي إلى تناقض في المعنى، و يؤيده أيضًا أن المثال الآخر في المحال الكذب يحمل التناقض نفسه من جهة المعنى الناتج عن اختلال توزيع الوحدات في التركيب المسمى محالاً (سوف أشرب ماء البحر أمس) حيث التناقض أيضًا في مورفيمات الزمن المتضمن في بنية الفعل و التي يؤديها المورفيمان (سوف) الدال على المستقبل و (أمس) الدال على الماضي.

و يجمع المثالين الموصوفين بالكذب من مستقيم و محال كون معنى التركيبين معنى مجازي لا يدخل في إطار الصدق ،و هو ما يوصف بالكذب، لكنه جائز في الاستخدام المجازي. مما يدفع إلى القول بأن الاستقامة تتصل بالشكل،و الإحالة تتصل بالمعنى و تنتج عن اختلال الشكل، والكذب مجاز؛ و بذلك يكون التركيب شكل و معنى .و اختلال جانب منهما يسفر عن تدني المستوى الصوابي في الحكم المعياري المطلق عليه.

ويتضح من عمل سيبويه أن المستقيم الحسن ما خضع للقوانين المعيارية للصياغة الشكلية و المعنوية ،و المستقيم الكذب ما خضع للقوانين المعيارية للصياغة الشكلية لكن معناه لا يستقيم إلا على سبيل المجاز.و بهذا و بإمكانية اعتبار الاستخدام المجازي يصبح المستقيم ما وافق قوانين الصياغة الشكلية المعيارية الأعلى و استقام معناه حقيقة أو مجازاً.أما المستقيم القبيح، فهو ما استقام معناه لكنه لم يوافق قوانين الصياغة الشكلية الأعلى معيارياً فكان في مرتبة أدنى منها. ويكون المحال،ما لم تنطبق عليه القوانين المعيارية في الصياغة الشكلية بوضع مورفيم زمن غير مناسب فيه ،و هو ما عبر عنه سيبويه بأنه مغير أو محال عن الصورة الافتراضية للتركيب، و لم يستقم معناه إلا بالاستخدام المجازي في لغة الشعر.

و باعتبار الاستخدام المجازي، فإن المستقيم الكذب يتشابه مع المحال،و يكون الفرق بينهما أن المستقيم الكذب خضع للقوانين الشكلية المعيارية فيما خالفها المحال باستخدامه معايير أدنى معيارياً.

النتائج:

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

أولاً: غياب مصطلح قار يعبر عن التركيب (الجملة) في كتاب سيبويه لا يعني غياب مفهوم التركيب و خصائصه في الكتاب ؛إذ لا يعقل أن ينشأ علم دراسة التركيب (النحو) دون أن تتضح في أذهان النحاة ملامح للوحدة التي تدرس من خلاله (الجملة /التركيب)،و لا ينقض ذلك ظهور مصطلح الجملة بعد سيبويه.

ثانياً:أن التركيب في عمل سيبويه منجز لغوي يتسم بالخصائص التالية:

1- أنه يقوم على التآلف بين وحدات لغوية أساسها الإسناد.
2- تمثل وظيفتا المسند و المسند إليه نواة التركيب،و يبررهما احتياج كل منهما للآخر.
3- يتحقق التركيب بوجود المسند و المسند إليه و استغناء كل منهما بالآخر ،كما يتحقق الاكتفاء في الوظيفة و المعنى من خلال توزع خاص للوحدات اللغوية تتيح تكون علاقات تركيبية أساسية و أخرى مكملة.
4- يقوم التركيب على الاعتماد بين وحدات التركيب الأساسية التي تتحقق من خلالها الإفادة.

5- يعد البناء الذي يمكن تصنيفه كدائرة أصغر داخل دائرة العمل،و الذي لا يقتصر على المسند و المسند إليه عنصر أَم هماً في تحقق التركيب.

6- يتحقق التركيب أيضًا من خلال الربط الشكلي و المعنوي على مستوى بنية الشكل و تركيبه، مما ينتج عنه فائدة تؤهل التركيب ليقدم رسالة لغوية واضحة متكاملة للمتلقي .

7- لم تكن نظرة سيبويه للتركيب نظرة شكلية خالصة ،فهو يشير في معالجته التركيب إلى اتحاد البنية الشكلية و المعنى ،و يجعل الشكل/المعنى من الأسس التي نظر إليها في تصنيف التركيب ،و بذا يخلص إلى أن للتركيب بنيتين ؛إحداهما شكلية و الأخرى معنوية .

8- تتحقق من خلال الارتباط الوظيفي بين المسند و المسند إليه الإفادة كهدف نهائي و أولي للتركيب.

ثالثاً: لم تخل مقاربة سيبويه في دراسته التركيب من النظرة المعيارية التي برزت في تناوله لخصائص التركيب .

رابعاً: بناء على دراسة سيبويه يمكن صياغة التعريف التالي للتركيب:" التركيب هو تآلف وحدات لغوية وفق قوانين صياغة شكلية و معنوية يقتضيها النظام اللغوي، الوظيفتان الرئيستان فيه هما المسند و المسند إليه، و تشكلان نواة له من خلال احتياج كل منهما للأخرى،فتحقق كل منهما للأخرى الاستغناء و الاكتفاء بأختها عن طريق الاعتماد بين وحداته و بناء إحداهما على الأخرى بالربط الشكلي و المعنوي بين أجزاء التركيب،نتيجة وجود علاقات تركيبية أساسية و أخرى مكملة غير أساسية لتكونه؛ لتحقق الهدف النهائي من التركيب و هو الإفادة أو توصيل الرسالة اللغوية التي قصد المرسل توصيلها من خلال هذا المنجز اللغوي."

أ-المصادر و المراجع العربية

- القرآن الكريم.
- "الأساس المعرفي للغويات العربية :بحث في بعض المقدمات الكلامية و الأصولية للنحو العربي، في اتجاه وضع أساس إبستمولوجي للغويات العربية"، د. عبد الرحمن بو درع ،منشورات نادي الكتاب لكلية الآداب، تطوان ،المغرب، ،0 200
- "الأصول البلاغية في كتاب سيبويه و أثرها في البحث البلاغي"،د.أحمد سعد، مكتبة الآداب،القاهرة،الطبعة الأولى1419هـ-1999م.
- " الألسنية(علم اللغة الحديث):مبادؤها و أعلامها"،د.ميشال زكريا،بيروت،1980م.
- "بناء الجملة العربية"،د.محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب،2003
- "التعريف بعلم اللغة"، دافيد كريستل، ترجمة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية 1993
- " الجملة العربية: تأليفها و أقسامها"، د. فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، عمان ،الطبعة الأولى 2002-1422

- "الجملة العربية: دراسة لغوية نحوية"، د. محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف، الإسكندرية 1984
- " شرح الكتاب"، لأبي سعيد السيرافي،
- الجزء الأول، تحقيق: د. رمضان عبد التواب و د محمود فهمي حجازي و د محمد هاشم عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986
- الجزء الثاني، تحقيق: د. رمضان عبد التواب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990
- الجزء الثالث، تحقيق: د. فهمي أبو الفضل ، مراجعة: د. رمضان عبد التواب و د. محمود مكي، دار الكتب و الوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى 1421 - 2001
- "شرح كتاب سيبويه"، لأبي الحسن الرماني، الجزء الأول، تحقيق: د المتولي بن رمضان وأحمد الدميري ،وكالة الشروق للطباعة و النشر 1993 - 1413 هـ
- "العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم و الحديث"،د.محمد حماسة عبد اللطيف، دار الفكر العربي ،القاهرة 1983.
- "علم اللغة العام"،فردينادند دو سوسير،ترجمة :يوئيل عزيز،مراجعة:مالك المطلبي،بيت الموصل،1988
- "فردينانـد دو سوسير:تأصـيل علـم اللغـة الحـديث و علـم العلامات"،جوناثـان كيللر،ترجمـة:نرمينمحمود،المجلس الأعلـى للثقافـة ،القاهرة،2000
- "الكتاب"،سيبويه ،تحقيق:عبد السلام هارون ،عالم الكتب ،الطبعة الثالثة 1983
- "مبادئ في اللسانيات" ،د.خولة الإبراهيمي، دار القصبة للنشر،الجزائر،2000
- "مبادئ اللسانيات البنوية:دراسة تحليلية ابستمولوجية"،د.الطيب دبة،جمعية الأدب للأساتذة الباحثين،2001
- "مبادئ اللسانيات العامة"،أندريه مارتيني ،ترجمة: سعيد زبيري،دار الآفاق،الجزائر
- "المصطلح النحوي و تفكير النحاة العرب"،توفيق قريرة،كلية الآداب، منوبة، و دار محمد علي ،تونس، الطبعة الأولى 2003
- المقتضب"، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1963
- "المنوال النحوي العربي:قراءة لسانية جديدة" ،د.عز الدين مجذوب،كلية الآداب، سوسة ،دار الحامي، تونس، الطبعة الأولى 1998
- "النكت في تفسير كتاب سيبويه"،للأعلم الشنتمري، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية ،المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، الكويت ،الطبعة الأولى، 1407هـ -1987

الأبحاث والدوريات

- "عودة إلى المسند و المسند إليه في كتاب سيبويه"، حسن حمزة ،"مجادلة السائد في اللغة و الأدب و الفكر"،ندوة دولية نظمها قسم اللغة و الآداب العربية 23-24نوفمبر 1996م ،الجزء الأول:" في التراث اللغوي و النقدي"، أشرف على تنظيم الندوة و أعد الأعمال للنشر: د. توفيق عامر، السلسلة: السابعة ،المجلد: السابع،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،تونس 2002

- "في المسار التطوري للنحو العربي :قراءة في تحول المنهج من المبنى إلى المعنى"، د. الطيب دبة، "مجلة الدراسات اللغوية"، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية،المجلد: 8 ،العدد: 2 ،مايو 2006
- "مصطلح علم الحديث و التقعيد النحوي عند سيبويه"، د. فكري محمد سليمان، علوم اللغة ،المجلد: الخامس، العدد: الرابع 2002 ،القاهرة.
- "من نحو الجملة إلى نحو النص: دراسة و تطبيق"، إبراهيم خليل، مجادلة السائد في اللغة و الأدب و الفكر،ندوة دولية نظمها قسم اللغة و الآداب العربية 23-24نوفمبر 1996م ،الجزء الأول:" في التراث اللغوي و النقدي"، أشرف على تنظيم الندوة و أعد الأعمال للنشر، د. توفيق عامر، السلسلة السابعة، المجلد: السابع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، تونس: 2002

ب –المراجع الأجنبية

- A Geneva School Reader In Linguistics ,Edited by: Robert Godel ,Indiana University ,Press: Bloomington &Llndon,1969.
- Sibawayhi,M.G.Carter ,Oxford Centre for :Islamic Studies.2004.